المحور العلمي

# الأنوثة بين المعنى الفطري والتشكيل الثقافي: مقاربة نقدية معاصرة

• مروة حاوي عاتي[1]

## الملخّص

تناولت هذه الدراسة موضوع «الأنوثة بين المعنى الفطري والتشكيل الثقافي: مقاربة نقدية معاصرة»، انطلاقًا من الإشكالية المتعلقة بطبيعة الأنوثة وحدود تشكلها بين المعطى الفطري من جهة، والتأثيرات الثقافية والاجتماعية من جهة أخرى، وقد سعت الدراسة إلى تفكيك التصورات التقليدية التي تنظر إلى الأنوثة بوصفها حقيقة ثابتة أو جوهرًا طبيعيًا مكتمل المعالم، وإعادة قراءتها في ضوء المقاربات الفكرية والنقدية المعاصرة التي تؤكد دور السياقات الثقافية والتاريخية في إنتاج معانيها وصياغة تمثلاتها المختلفة. هدفت الدراسة إلى بيان الأسس النظرية لمفهوم الأنوثة وتطوراته الفكرية، وتحليل العلاقة بين العوامل البيولوجية والفطرية وبين البنى الثقافية والاجتماعية في تشكيل الهوية الأنثوية، فضلاً عن الكشف عن دور الخطابات التربوية والإعلامية والاجتماعية في بناء التصورات المرتبطة بالمرأة وإعادة إنتاجها داخل المجتمع. كما هدفت إلى نقد التفسيرات الاختزالية التي ترد الأنوثة إلى عامل واحد، سواء كان بيولوجيًا أم ثقافيًا، والسعي إلى تقديم رؤية أكثر شمولاً وتوازنًا لفهم هذا المفهوم. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بوصفه منهجًا رئيسًا في عرض المفاهيم والنظريات وتحليلها، إلى جانب المنهج النقدي في مناقشة الأطروحات الفكرية المعاصرة المتعلقة بالأنوثة والجندر، مع الاستفادة من المنهج المقارن في تتبع اختلاف التصورات الثقافية والاجتماعية للأنوثة عبر عدد من السياقات الفكرية والمعرفية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها أن الأنوثة ليست معطىً طبيعيًا خالصًا ولا بناءً ثقافيًا صرفًا، بل هي نتاج تفاعل معقد بين الاستعدادات الفطرية والظروف الاجتماعية والثقافية. كما أظهرت أن كثيراً من الصفات والأدوار المنسوبة إلى المرأة ليست ثابتة أو عالمية، وإنما تتأثر بالسياقات التاريخية والثقافية التي تتشكل ضمنها. وبينت الدراسة أن المؤسسات الاجتماعية والخطابات الثقافية تؤدي دورًا محوريًا في تشكيل صورة الأنوثة وإعادة إنتاجها، وأن المقاربات النقدية المعاصرة أسهمت في

---

١. مدرّس مساعد، جامعة واسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. البريد الإلكتروني:

تجاوز الرؤى الجوهرانية والحتمية من خلال النظر إلى الهوية الأنثوية بوصفها هوية ديناميكية ومتغيرة. وانتهت الدراسة إلى أن فهم الأنوثة يتطلب تبني مقاربة تكاملية تستوعب تفاعل الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية، بعيدًا عن التفسيرات الأحادية أو الاختزالية.

الكلمات المفتاحية: الأنوثة، الفطرة، الثقافة، الهوية الجندرية، التشكيل الثقافي، الدراسات النسوية، النقد الثقافي، الجندر، الهوية الاجتماعية، المقاربات المعاصرة.

## المقدّمة

تُعدّ الأنوثة من أكثر المفاهيم الإنسانية تعقيدًا وإثارةً للجدل في الدراسات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، إذ تتجاوز كونها مجرد سمة بيولوجية مرتبطة بالمرأة لتصبح مفهومًا متعدد الأبعاد تتداخل في تشكيله العناصر الطبيعية والثقافية والتاريخية والاجتماعية، حيث شهد هذا المفهوم تحولات عميقة عبر العصور، فقد ارتبط في بعض السياقات بتصورات فطرية ترى أن الأنوثة مجموعة من الخصائص الثابتة الملازمة للمرأة بحكم تكوينها البيولوجي، بينما اتجهت مقاربات أخرى إلى النظر إليها بوصفها نتاجًا للبناء الثقافي والاجتماعي الذي تصوغه المؤسسات والقيم والأنساق الفكرية السائدة داخل المجتمع، ومن هذا المنطلق، أصبحت دراسة الأنوثة تتطلب تجاوز الرؤى الاختزالية التي تفسرها من زاوية واحدة، والانفتاح على مقاربات نقدية قادرة على استيعاب تعقيداتها وتحولاتها في ظل المتغيرات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، وقد ساعدت التحولات الفكرية التي عرفها العالم خلال العقود الأخيرة في إعادة طرح الأسئلة المتعلقة بطبيعة الأنوثة وحدودها ومصادر تشكلها، ولا سيما في ظل تصاعد الاهتمام بقضايا الهوية والجندر والنقد الثقافي. فبينما تؤكد بعض الاتجاهات الفكرية وجود أسس فطرية تساهم في تشكيل الهوية الأنثوية، تذهب اتجاهات أخرى إلى أن المجتمع والثقافة يؤديان دورًا حاسمًا في إنتاج المعاني المرتبطة بالأنوثة وإعادة إنتاجها عبر منظومات التربية والإعلام والخطاب الديني والعلاقات الاجتماعية، حيث أنتج هذا الاختلاف إلى ظهور إشكاليات معرفية ومنهجية متعددة تتعلق بمدى استقلال الأنوثة عن السياق الثقافي، وبحدود تأثير العوامل البيولوجية والاجتماعية في تكوينها، وتتضح مشكلة الدراسة من الجدل المستمر بين الاتجاهات التي تنظر إلى الأنوثة باعتبارها حقيقة فطرية ثابتة، والاتجاهات التي ترى أنها بناء ثقافي متغير يخضع لشروط المجتمع والتاريخ، ويتمثل جوهر المشكلة في محاولة الإجابة عن تساؤل رئيس مفاده: هل تمثل الأنوثة معطى فطريًا مستقلاً عن السياقات الاجتماعية والثقافية، أم أنها نتاج عمليات بناء وتشكيل تمارسها الثقافة من خلال مؤسساتها وخطاباتها المختلفة؟ ويتفرع عن هذا

التساؤل عدد من الأسئلة الفرعية المتعلقة بطبيعة العلاقة بين البيولوجي والثقافي في تشكيل الهوية الأنثوية، وبالكيفية التي تسهم بها الخطابات الاجتماعية في إنتاج التصورات السائدة حول الأنوثة، إضافة الى أثر التحولات الفكرية المعاصرة في إعادة تعريف هذا المفهوم وتوسيعه. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها العلمية من كونها تسلط الضوء على أحد المفاهيم المركزية في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وتسعى إلى تقديم قراءة نقدية تتجاوز التفسيرات الأحادية التي تختزل الأنوثة في بعدها البيولوجي أو الثقافي فقط، كما تتضح أهميتها النظرية من إسهامها في إثراء الأدبيات المتعلقة بالدراسات الجندرية والنقد الثقافي من خلال تقديم رؤية تحليلية تستكشف التفاعل بين المعطى الفطري والتشكيل الثقافي في بناء الهوية الأنثوية- أما من الناحية المعرفية، فإن الدراسة تساهم في توضيح الخلفيات الفكرية التي تستند إليها التصورات المختلفة للأنوثة، والكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في تشكيلها وإعادة إنتاجها داخل المجتمعات، تظهر أهميتها التطبيقية في تعزيز الوعي بطبيعة الصور النمطية المرتبطة بالمرأة، وبيان أثرها في تشكيل الأدوار الاجتماعية والتوقعات الثقافية المفروضة عليها، بما يساعد على بناء فهم أكثر اتزانًا وموضوعية لمفهوم الأنوثة في السياقات المعاصرة، وتهدف الدراسة إلى تحليل مفهوم الأنوثة من منظور نقدي معاصر يكشف عن أبعاده الفطرية والثقافية، وبيان طبيعة العلاقة بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي في تشكيل الهوية الأنثوية، كما تهدف إلى استقصاء الكيفية التي تساهم بها المؤسسات الثقافية والاجتماعية في إنتاج التصورات المرتبطة بالأنوثة وترسيخها، وتحليل أثر الخطابات الفكرية الحديثة في إعادة بناء هذا المفهوم وتطوير دلالاته، وتسعى كذلك إلى نقد الصور النمطية والأحكام المسبقة التي ارتبطت تاريخيًا بالأنوثة، والكشف عن حدودها المعرفية والثقافية، وصولاً إلى تقديم فهم أكثر شمولاً ومرونة لهذا المفهوم بوصفه نتاجًا لتفاعل مستمر بين المعطيات الفطرية والتأثيرات الثقافية والاجتماعية. وانطلاقًا من هذه الرؤية، تتبنى الدراسة مقاربة نقدية تسعى إلى تفكيك البنى الفكرية التي أسهمت في تشكيل مفهوم الأنوثة، وتحليل التحولات التي طرأت عليه في ضوء المتغيرات الثقافية والاجتماعية المعاصرة، بما يتيح فهمًا أعمق لهذا المفهوم بعيدًا عن التعميمات والأحكام المسبقة، ويؤسس لقراءة علمية أكثر توازنًا تستوعب تعدد التجارب الإنسانية واختلاف السياقات الثقافية. تمحورت الدراسة حول تحليل مفهوم الأنوثة بوصفه ظاهرة إنسانية واجتماعية مركبة، والبحث في العلاقة الجدلية بين المعنى الفطري والتشكيل الثقافي في بناء الهوية الأنثوية، وقد سعت إلى استكشاف مدى إسهام العوامل البيولوجية والفطرية في تكوين الأنوثة من جهة، ودور الثقافة والخطابات الاجتماعية والمؤسسات المختلفة في تشكيل معانيها وتمثلاتها

من جهة أخرى، وركزت الدراسة على تتبع التطور التاريخي والفكري لمفهوم الأنوثة، وتحليل أبرز المقاربات الفلسفية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تناولته، مع الوقوف عند النقد الذي وجهته الدراسات المعاصرة للتفسيرات الجوهرانية والحتمية البيولوجية، كما اهتمت ببيان الكيفية التي تُنتج بها الثقافة والخطابات التربوية والإعلامية والاجتماعية صورًا ومعايير محددة للأنوثة، وتسهم في إعادة إنتاجها داخل المجتمع، وانتهت الدراسة إلى تقديم مقاربة نقدية معاصرة ترى أن الأنوثة لا يمكن فهمها بوصفها نتاجًا للفطرة وحدها أو للثقافة وحدها، وإنما باعتبارها حصيلة تفاعل مستمر بين المعطيات الطبيعية والعمليات الاجتماعية والثقافية، الأمر الذي يجعلها مفهومًا ديناميكيًا ومتغيراً يخضع لإعادة التشكيل وفقًا للسياقات التاريخية والحضارية المختلفة، وقد جاءت الدراسة من ثلاثة مباحث فضلاً النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للأنوثة

يُعد مفهوم الأنوثة من المفاهيم المركبة التي استقطبت اهتمام العديد من الحقول المعرفية، بدءًا من الفلسفة وعلم النفس وصولاً إلى علم الاجتماع والدراسات الثقافية والجندرية، ويرجع ذلك إلى ارتباطه المباشر بقضايا الهوية الإنسانية والبناء الاجتماعي والعلاقات الثقافية التي تحدد موقع المرأة وأدوارها داخل المجتمع. وقد شهد هذا المفهوم تحولات دلالية عميقة عبر التاريخ؛ إذ انتقل من كونه وصفًا للخصائص البيولوجية والنفسية المرتبطة بالمرأة إلى كونه مفهومًا يتداخل فيه الطبيعي والاجتماعي والثقافي بصورة معقدة، ومن ثمّ فإن فهم الأنوثة يقتضي الوقوف على أبعادها المفاهيمية والنظرية، وتحليل أهم الاتجاهات الفكرية التي سعت إلى تفسيرها، سواء تلك التي تؤكد بعدها الفطري أو تلك التي تركز على دور الثقافة والمجتمع في تشكيلها.

### أولاً: مفهوم الأنوثة وأبعاده الدلالية

يُعد مفهوم الأنوثة من المفاهيم المركزية في الدراسات الإنسانية والاجتماعية لما ينطوي عليه من أبعاد معرفية وثقافية ونفسية متداخلة، ولما يمثله من مدخل أساس لفهم طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع من جهة، وبين الهوية والتمثلات الثقافية من جهة أخرى. وقد اكتسب هذا المفهوم أهمية متزايدة في الدراسات المعاصرة نتيجة التحولات الفكرية التي شهدتها العلوم الإنسانية خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، حيث انتقل النقاش حول الأنوثة من إطارها البيولوجي الضيق إلى فضاء أوسع يضم الأبعاد الاجتماعية والثقافية والرمزية، ومن ثم لم تعد الأنوثة مجرد وصف للخصائص المرتبطة بالمرأة، إنما أصبحت موضوعًا للتحليل والنقد والمساءلة العلمية،

خصوصًا في ظل تعدد المقاربات التي حاولت تفسيرها وتحديد حدودها المعرفية[١]. إن تتبع الجذور اللغوية لمفهوم الأنوثة يكشف عن ارتباطه التاريخي بالتمييز بين الذكر والأنثى من حيث الخصائص والوظائف الطبيعية، فقد وردت لفظة الأنثى في المعاجم العربية للدلالة على خلاف الذكر، وجاءت الأنوثة بمعنى الصفات الملازمة للأنثى والمميزة لها، ويشير ابن منظور في «لسان العرب» إلى أن الأنثى هي خلاف الذكر من كل شيء، وأن التأنيث يدل على الخصائص التي تُنسب إلى الإناث في مقابل الذكورة[٢]. كما يورد الزبيدي في «تاج العروس» أن الأنوثة تمثل مجموعة الصفات والسمات التي تُميز المرأة عن الرجل في البنية الطبيعية والخصائص المرتبطة بها[٣]، إلا أن الدلالة اللغوية للمفهوم بقيت محدودة في إطار التمييز الجنسي الطبيعي، دون أن تمتد إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي أضافتها الدراسات الحديثة فيما بعد. أما في الاصطلاح العلمي، فقد شهد مفهوم الأنوثة تطورًا كبيرًا نتيجة اختلاف التخصصات العلمية التي تناولته، ففي علم الأحياء تُعرَّف الأنوثة بوصفها مجموعة الخصائص الجسدية والوظيفية المرتبطة بالكائن الأنثوي، بما يشمل البناء التشريحي والهرموني والقدرة الإنجابية[٤].

أما في علم النفس فتشير الأنوثة إلى مجموعة من السمات السلوكية والانفعالية والشخصية التي ترتبط تقليديًا بالمرأة، مثل التعاطف والرعاية والحساسية الوجدانية، مع التأكيد على أن هذه السمات لا ترتبط بالضرورة بجنس معين ارتباطًا مطلقًا.[٥] وفي علم الاجتماع والدراسات الثقافية اتسع المفهوم ليشمل مجموعة المعاني والتصورات التي ينتجها المجتمع حول المرأة، ويعيد ترسيخها من خلال مؤسساته المختلفة، الأمر الذي جعل الأنوثة تُفهم بوصفها بناءً اجتماعيًا وثقافيًا يتجاوز حدود الطبيعة البيولوجية[٦]. فقد أسهمت التحولات الفكرية الحديثة في إعادة النظر في المفاهيم التقليدية المرتبطة بالأنوثة، حيث بدأت العديد من الدراسات النقدية في التشكيك في فكرة وجود جوهر ثابت للأنوثة يمكن تعميمه على جميع النساء في مختلف الأزمنة والثقافات، وظهر هذا الاتجاه بوضوح في أعمال الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار التي رأت أن المرأة لا تولد امرأة بالمعنى الاجتماعي والثقافي، وإنما تصبح كذلك من خلال عمليات التنشئة والتشكيل

١. عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص٣٤.
٢. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ١٩٨.
٣. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٥، ص ٢٨٧.
٤. بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، ص٧٦.
٥. عبد الوهاب بوحديبة، المرأة في الإسلام، ص٥٤.
٦. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص٩٨.

الاجتماعي التي تتعرض لها داخل المجتمع، وقد مثّلت هذه الفكرة نقطة تحول مهمة في دراسة الأنوثة، لأنها نقلت النقاش من المجال البيولوجي إلى المجال الاجتماعي والثقافي، وأكدت أن كثيراً من الصفات المنسوبة إلى النساء ليست ناتجة عن الطبيعة بقدر ما هي نتاج لعمليات اجتماعية طويلة الأمد[1].

وفي سياق التطور المعرفي للمفهوم، ظهر تمييز مهم بين الأنوثة والهوية الجندرية والنسوية، فالأنوثة تشير إلى مجموعة الصفات والتمثلات التي ترتبط بالمرأة داخل المجتمع، سواء أكانت هذه الصفات ذات أساس طبيعي أم مكتسبة اجتماعيًا، أما الهوية الجندرية فتشير إلى الكيفية التي يدرك بها الفرد ذاته وينسبها إلى موقع جندري معين داخل البناء الاجتماعي، بينما تمثل النسوية اتجاهًا فكريًا وحركة نقدية تسعى إلى دراسة أوضاع النساء وتحليل أشكال التمييز وعدم المساواة التي يتعرضن لها، ويُعد هذا التمييز ضروريًا لتجنب الخلط المفاهيمي الذي كثيراً ما يقع في الدراسات المتعلقة بالمرأة والجندر، وتكشف الدراسات المعاصرة أن الأنوثة ليست مفهومًا جامدًا أو ثابتًا، وإنما هي مفهوم متغير يتأثر بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

فالتغيرات التي شهدتها أوضاع المرأة في مجالات التعليم والعمل والمشاركة العامة أدت إلى إعادة تعريف كثير من التصورات التقليدية المرتبطة بالأنوثة. كما أن العولمة والثورة الرقمية ووسائل التواصل الحديثة أسهمت في توسيع النقاش حول هذا المفهوم وإبراز أشكال جديدة من التعبير عن الهوية الأنثوية خارج الأطر التقليدية[2].

وبناءً على ما تقدم، ترى الباحثة إن الأنوثة تمثل مفهومًا مركبًا تتداخل فيه الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية بصورة يصعب الفصل بينها بشكل قاطع، فهي ليست مجرد معطى طبيعي ثابت، كما أنها ليست بناءً ثقافيًا خالصًا منفصلاً عن الواقع البيولوجي، إنما هي حصيلة تفاعل مستمر بين الطبيعة والثقافة، وبين الفرد والمجتمع، وبين الثابت والمتغير.

### ثانيًا: الأنوثة بين التفسير البيولوجي والتفسير الفطري

يمثل البحث في العلاقة بين الأنوثة والفطرة الإنسانية أحد أكثر الموضوعات إثارة للجدل في الدراسات المعاصرة، نظرًا لتشابك الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تتداخل في تشكيل الهوية الأنثوية، حيث انقسمت الاتجاهات الفكرية والعلمية في تفسير الأنوثة بين رؤى

---

١. سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ج٢، ص ١٥-٢٠.
٢. نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، ص٣٢٠.

تؤكد مركزية العوامل البيولوجية وترى أن الخصائص المرتبطة بالمرأة تعود أساسًا إلى تكوينها العضوي والهرموني، وبين رؤى أخرى تؤكد أن هذه الخصائص لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق الإنساني العام الذي تتفاعل فيه العوامل الفطرية مع الخبرات المكتسبة والظروف الاجتماعية والثقافية. ومن ثم فإن دراسة الأنوثة من منظور علمي تتطلب تجاوز التفسيرات الأحادية التي ترد الظاهرة إلى سبب واحد، والاتجاه نحو فهم أكثر شمولاً يراعي طبيعة الإنسان بوصفه كائنًا بيولوجيًا واجتماعيًا في آن واحد.

لقد اهتمت العلوم البيولوجية بدراسة الفروق القائمة بين الذكور والإناث من حيث البناء الجسدي والوظائف الفسيولوجية والخصائص الوراثية، وأشارت العديد من الدراسات إلى أن التكوين الكروموسومي والهرموني يلعب دورًا مهمًا في تشكيل بعض السمات الجسدية والنفسية المرتبطة بالأنوثة، فوجود الكروموسومات الجنسية الأنثوية وما يرتبط بها من نشاط هرموني يساعد في تكوين الخصائص الجسدية المميزة للمرأة، كما يؤثر في بعض الجوانب المتعلقة بالاستجابات الانفعالية والسلوكية، حيث دفعت هذه المعطيات بعض الباحثين إلى اعتبار الأنوثة امتدادًا مباشرًا للبنية البيولوجية، ورأوا أن كثيراً من الأدوار التي تقوم بها المرأة ترتبط بوظائفها الطبيعية وما تقتضيه من استعدادات عضوية ونفسية،[1] إلا أن التفسير البيولوجي، على الرغم من أهميته في الكشف عن الأسس الطبيعية للاختلاف بين الجنسين، لا يقدم تفسيراً كاملاً للأنوثة بوصفها ظاهرة إنسانية واجتماعية، فالتاريخ الإنساني يكشف عن اختلاف كبير في الأدوار والتوقعات المرتبطة بالمرأة بين المجتمعات والثقافات المختلفة، وهو ما يصعب تفسيره بالاستناد إلى العامل البيولوجي وحده. كما أن وجود خصائص بيولوجية مشتركة بين النساء لا يعني بالضرورة وجود نموذج واحد للأنوثة أو طريقة موحدة لتجسيدها داخل المجتمع، الأمر الذي دفع عددًا من الباحثين إلى نقد النزعة الحتمية التي تربط السلوك الإنساني بالبنية العضوية فقط[2].

وفي هذا السياق ظهر مفهوم الفطرة بوصفه إطارًا تفسيريًا يسعى إلى تجاوز الاختزال البيولوجي، إذ يشير إلى مجموعة الاستعدادات والقدرات الأولية التي يولد بها الإنسان والتي تشكل جزءًا من تكوينه النفسي والوجداني، وتنظر بعض الاتجاهات النفسية إلى الأنوثة باعتبارها تتضمن أبعادًا فطرية تتمثل في الميل إلى الرعاية والتعاطف وبناء العلاقات الإنسانية، إلا أن هذه الاستعدادات لا

---

١. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ٤٣٠.

2. Margaret Mead, Sex and Temperament in Three Primitive, p. 278.

تُفهم بوصفها محددات صارمة للسلوك، إنما باعتبارها إمكانات قابلة للتطور والتعديل من خلال الخبرة والتنشئة والتفاعل الاجتماعي، ومن ثم فإن الفطرة لا تُلغي دور الثقافة، وإنما تتفاعل معها في إنتاج أنماط متنوعة من التعبير عن الهوية الأنثوية[1]، حيث ساهمت الدراسات النفسية الحديثة في تعزيز هذا الفهم التفاعلي للأنوثة، فقد أكدت أن الشخصية الإنسانية لا تتشكل نتيجة عامل واحد، إنما تنشأ من التفاعل المستمر بين الاستعدادات الموروثة والخبرات المكتسبة. فالمرأة لا تعبر عن أنوثتها بطريقة واحدة في جميع البيئات، وتتأثر بالظروف الأسرية والتعليمية والاجتماعية التي تعيش فيها، ولهذا فإن الصفات التي تُنسب تقليديًا إلى الأنوثة قد تختلف في درجة حضورها أو أساليب التعبير عنها تبعًا لاختلاف السياقات الثقافية، وهو ما يؤكد محدودية التفسيرات التي تعتمد على العامل البيولوجي وحده[2].

وقد تعرضت المقاربات الحتمية التي تفسر الأنوثة من خلال البيولوجيا وحدها إلى انتقادات واسعة في الفكر المعاصر، إذ يرى العديد من الباحثين أن هذه المقاربات قد تُستخدم أحيانًا لتبرير التفاوتات الاجتماعية أو تكريس الأدوار التقليدية للمرأة من خلال إضفاء صفة الطبيعية عليها، ولذلك ظهرت اتجاهات نقدية تؤكد أن الاعتراف بالاختلافات البيولوجية لا يستلزم بالضرورة القبول بالتمييز الاجتماعي أو افتراض وجود قدر محتوم يحدد أدوار النساء داخل المجتمع. إنما إن هذه الاتجاهات تدعو إلى التمييز بين المعطى الطبيعي بوصفه واقعًا بيولوجيًا وبين التفسيرات الثقافية والاجتماعية التي تُبنى عليه وتمنحه دلالات معينة[3]، أن الأنوثة مفهوم متعدد الأبعاد لا يمكن تفسيره من خلال منظور أحادي، إذ تتداخل في تشكيله عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية وثقافية، كما تبين أن الجدل بين التفسيرات الفطرية والتفسيرات الثقافية يعكس تعقيد هذا المفهوم وتنوع المقاربات المعرفية التي تناولته، وقد أظهرت المناقشة أن الاتجاهات المعاصرة تميل إلى النظر إلى الأنوثة بوصفها نتاجًا لتفاعل مستمر بين المعطيات الطبيعية والظروف الاجتماعية والثقافية، وهو ما يمهد للانتقال إلى دراسة آليات التشكيل الثقافي للأنوثة في الفصل الثاني.

---

1. Janet Saltzman Chafetz, Gender Equity: An Integrated Theory of Stability and Change, p. 35.
2. Nancy Fraser, Justice Interruptus: Critical Reflections on the “Post socialist” Condition, p. 11.
3. Eva Illouz, Cold Intimacies: The Making of Emotional Capitalism, p. 84.

## المبحث الثاني: التشكيل الثقافي للأنوثة وآليات إنتاجه

يأتي هذا المبحث في سياق الانتقال من البحث في الأسس المفاهيمية والجدل النظري حول الأنوثة، إلى تحليل البعد الثقافي والاجتماعي بوصفه أحد أهم المحددات في بناء هذا المفهوم وإعادة إنتاجه داخل المجتمع. يتجه هذا المبحث إلى دراسة الكيفية التي تُصاغ بها الأنوثة داخل البنى الثقافية المختلفة، وكيف تتحول من كونها معطى إنساني محتمل إلى هوية اجتماعية محددة المعالم تتشكل عبر مؤسسات التنشئة والخطاب والتمثيل الرمزي، ويستند هذا التحليل إلى فرضية أساسية مفادها أن الأنوثة ليست مجرد انعكاس لطبيعة بيولوجية أو استعداد فطري، إنما هي في جوهرها نتاج عمليات اجتماعية وثقافية معقدة تعمل على تحديد معانيها وحدودها وأدوارها داخل المجتمع.

### أولاً: الثقافة ودورها في بناء مفهوم الأنوثة

يمثل مفهوم الثقافة أحد المفاتيح الأساسية لفهم الكيفية التي تُبنى بها التصورات الاجتماعية حول الأنوثة، إذ لا يمكن إدراك هذا المفهوم بوصفه معطى بيولوجيًا أو نفسيًا بعيدًا عن السياق الاجتماعي، انما باعتباره نتاجًا لمنظومة ثقافية متكاملة تُنتج المعاني وتعيد توزيعها داخل المجتمع. فالثقافة، في جوهرها، ليست مجرد تراكم للمعارف أو العادات، وإنما هي نظام رمزي شامل يُنظم إدراك الأفراد للعالم ولذواتهم، ويحدد في الوقت نفسه ما يُعتبر طبيعيًا أو مقبولاً أو مرغوبًا فيه، ومن هذا المنظور، تصبح الأنوثة مفهومًا ثقافيًا بامتياز، يتشكل من خلال عمليات معقدة من التمثيل والتأويل والتكرار الاجتماعي، وليس مجرد انعكاس مباشر لطبيعة الجسد الأنثوي، لقد ساهمت الأنثروبولوجيا الثقافية في إرساء فهم جديد للأنوثة من خلال التأكيد على نسبية المعايير الجندرية واختلافها من مجتمع إلى آخر، ففي هذا السياق، تظهر أعمال روث بندكت التي أوضحت أن السمات التي تُنسب إلى الذكورة والأنوثة ليست ثابتة أو طبيعية، إنما هي أنماط ثقافية مكتسبة تتغير وفق القيم السائدة في كل مجتمع، فالدراسة التي قدمتها بندكت حول المجتمعات المختلفة بيّنت أن ما يُعتبر سلوكًا أنثويًا في ثقافة معينة قد يُنظر إليه بشكل مختلف تمامًا في ثقافة أخرى، مما يدل على أن الأنوثة ليست بنية طبيعية موحدة، إنما بناء ثقافي متغير يخضع للسياق الاجتماعي والتاريخي.[1]

وفي الاتجاه نفسه، يقدّم مارشال سالينز تصورًا مهمًا حول العلاقة بين الثقافة والمعنى، حيث

1. Ruth Benedict, Patterns of Culture, p. 45.

يؤكد أن الإنسان لا يتفاعل مع العالم المادي بشكل مباشر، إنما من خلال أنظمة رمزية تمنح الأشياء دلالاتها الاجتماعية، ووفق هذا التصور، فإن الأنوثة لا تُفهم إلا داخل نظام رمزي يحدد معناها ويمنحها مكانتها داخل البنية الاجتماعية، وهو ما يعني أن الجسد الأنثوي لا يحمل دلالته الاجتماعية بشكل طبيعي، إنما يكتسبها عبر الثقافة.[1]

كما يظهر علم الاجتماع الثقافي الحديث أن عملية التنشئة الاجتماعية تُعد الآلية الأساسية التي يتم من خلالها إنتاج الأنوثة وإعادة إنتاجها، فالفرد منذ طفولته يتعرض لسلسلة من التوجيهات والقيم والمعايير التي تحدد له ما هو متوقع منه بوصفه ذكرًا أو أنثى، وتعمل الأسرة باعتبارها المؤسسة الأولى على ترسيخ هذه التصورات، ثم تأتي المدرسة لتدعيمها من خلال المناهج التعليمية وأنماط التفاعل داخل الفضاء التربوي، في حين تساهم وسائل الإعلام في تعزيزها من خلال الصور النمطية والتمثلات المتكررة للمرأة في المجال العام، ومن خلال هذا التداخل المؤسسي، يتم بناء تصور معين للأنوثة يبدو في ظاهره طبيعيًا، بينما هو في حقيقته نتاج عملية اجتماعية طويلة الأمد، حيث تقدم ماري دوغلاس تحليلاً بالغ الأهمية لمفهوم الثقافة بوصفه نظامًا للترتيب الرمزي، حيث تبين أن المجتمعات تقوم بتصنيف العالم من خلال ثنائيات رمزية مثل الطاهر/النجس والنظام/الفوضى، ويمكن إدراج الجندر ضمن هذه التصنيفات الرمزية التي تمنح لكل من الذكورة والأنوثة مكانة ومعنى محددين داخل البنية الاجتماعية، ومن ثم فإن الأنوثة ليست مجرد وصف بيولوجي، إنما هي موقع رمزي يتم إنتاجه داخل نظام ثقافي أشمل يحدد معايير الانتماء والمعنى[2].

كما تؤكد دراسات الثقافة المعاصرة أن اللغة تلعب دورًا مركزيًا في بناء التصورات الجندرية، إذ لا يمكن فصل المعنى الاجتماعي للأنوثة عن الخطابات اللغوية التي تنتجه، فاللغة ليست وسيلة وصف محايدة، إنما هي أداة لإنتاج الواقع الاجتماعي وإعادة تشكيله، ومن خلال التكرار اللغوي للصفات المرتبطة بالأنوثة، يتم تثبيت تصورات معينة تبدو طبيعية رغم أنها نتاج بناء اجتماعي، وهذا ما يجعل الخطاب الثقافي أداة فعالة في تشكيل الوعي الجمعي حول المرأة، وتحديد توقعات المجتمع تجاهها.

وفي إطار أكثر نقدية، يمكن الإشارة إلى أن الثقافة لا تعمل فقط على تنظيم السلوك، بل تسهم

1. Marshall Sahlins, Culture and Practical Reason, p. 18.
2. Michael W. Apple, Official Knowledge: Democratic Education in a Conservative Age, p. 31.

أيضًا في إنتاج السلطة الرمزية التي تحدد مواقع الأفراد داخل المجتمع، فوفق هذا التصور، تصبح الأنوثة جزءًا من نظام رمزي يُعيد إنتاج التراتب الاجتماعي بشكل غير مباشر، حيث يتم تقديم بعض الأدوار بوصفها طبيعية للمرأة، رغم أنها في الأصل ناتجة عن تاريخ طويل من التمثلات الثقافية، وهنا يتجلى البعد الإيديولوجي للثقافة، بوصفها ليست مجرد انعكاس للواقع، بل قوة فاعلة في تشكيله وإعادة إنتاجه[1].

ومن خلال هذا التحليل تبين الباحثة أن الأنوثة ليست مفهومًا ثابتًا أو معطى جاهزًا، بل هي بناء ثقافي متحرك يتغير بتغير السياقات الاجتماعية والتاريخية، فالمعاني المرتبطة بالأنوثة ليست واحدة في جميع المجتمعات، إنما تختلف باختلاف أنظمة القيم والمعايير الثقافية، مما يؤكد أن الثقافة تلعب الدور الحاسم في تحديد ما يُعتبر أنوثة وما لا يُعتبر كذلك.

### ثانيًا: الخطابات المؤسسة للأنوثة

تُعدّ الخطابات الاجتماعية بمختلف أنواعها من أهم الآليات التي تُسهم في تشكيل مفهوم الأنوثة وإعادة إنتاجه داخل المجتمع، إذ لا تُبنى الأنوثة بوصفها حقيقة طبيعية أو معطى ثابتًا، إنما تتشكل ضمن شبكة من الخطابات المتداخلة التي تحدد ما يُعتبر «أنوثة» وما يخرج عنها، وتكمن أهمية تحليل الخطاب في كونه يكشف أن المعاني المرتبطة بالمرأة ليست بريئة أو عفوية، إنما هي نتاج عمليات إنتاج رمزي ومعرفي تتداخل فيها السلطة بالثقافة، والمعرفة بالممارسة الاجتماعية، وبذلك، يصبح فهم الأنوثة مرتبطًا بتحليل كيفية اشتغال الخطابات التربوية والإعلامية والدينية والثقافية في إنتاج صورة المرأة داخل المجتمع، وتثبيت أو تغيير هذه الصورة عبر الزمن.

يُعد الخطاب التربوي أحد أهم الخطابات المؤسسة للأنوثة، إذ تبدأ عملية تشكيل الهوية الجندرية منذ الطفولة عبر مؤسسات التنشئة الأولى، وعلى رأسها الأسرة والمدرسة، فالتربية لا تقتصر على نقل المعارف، إنما تشمل أيضًا غرس القيم والمعايير الاجتماعية التي تحدد أدوار الذكور والإناث، حيث أظهرت دراسات علم الاجتماع التربوي أن المناهج الدراسية، وطريقة تعامل المعلمين، وحتى الأنشطة المدرسية، غالبًا ما تحمل رسائل ضمنية حول ما هو متوقع من الفتيات مقارنة بالفتيان، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج تصورات تقليدية عن الأنوثة بوصفها مرتبطة بالهدوء والرعاية والامتثال الاجتماعي[2].

---

1. Erving Goffman, The Presentation of Self in Everyday Life, p. 17.
2. David Gauntlett, Media, Gender and Identity, p.58.

وبذلك، تشير أعمال إيرفينغ غوفمان إلى أن الحياة الاجتماعية يمكن فهمها بوصفها مسرحًا تُعرض فيه الأدوار الاجتماعية، حيث يقدم الأفراد أنفسهم وفق توقعات اجتماعية مسبقة، ووفق هذا التصور، فإن الأنوثة ليست صفة داخلية ثابتة، إنما هي «عرض اجتماعي» يتم أداؤه داخل سياقات مختلفة وفق ما تفرضه التوقعات الثقافية، مما يعني أن الخطاب الاجتماعي يسهم في تنظيم هذا الأداء وتحديد معاييره[1].

أما الخطاب الإعلامي، فيمثل أحد أكثر الخطابات تأثيرًا في تشكيل التصورات المعاصرة للأنوثة، نظرًا لقدرته على الوصول الواسع وإعادة إنتاج الصور الرمزية بشكل مستمر، فقد أصبحت وسائل الإعلام الحديثة، بما فيها التلفزيون والسينما ومنصات التواصل الاجتماعي، تلعب دورًا محوريًا في صياغة نماذج معينة للمرأة، غالبًا ما ترتبط بالمظهر الجمالي أو الأدوار الأسرية أو التمثيلات العاطفية، هذه الصور لا تُعرض بوصفها تمثيلات فقط، إنما تُقدَّم أحيانًا باعتبارها معايير اجتماعية مرغوبة، مما يؤدي إلى ترسيخ إنماط معينة من الفهم للأنوثة داخل الوعي الجمعي[2].

وفي إطار نقد الإعلام والثقافة، يقدم هربرت شيلر تحليلاً مهمًا حول دور الإعلام في إعادة إنتاج الهيمنة الثقافية، حيث يرى أن وسائل الإعلام لا تنقل الواقع كما هو، إنما تُعيد تشكيله بما يخدم البنى الاقتصادية والثقافية السائدة، ومن هذا المنظور، فإن تمثلات الأنوثة في الإعلام ليست محايدة، إنما تعكس علاقات القوة داخل المجتمع، وتُساعد في تثبيت صور نمطية حول المرأة ودورها الاجتماعي[3].

أما الخطاب الديني والاجتماعي، فيؤدي دورًا بالغ التعقيد في تشكيل مفهوم الأنوثة، إذ يقدم مجموعة من القيم والمعايير التي تُحدد السلوك المقبول والمرفوض للمرأة داخل المجتمع، إلا أن هذا الخطاب ليس واحدًا أو ثابتًا، إنما يتنوع باختلاف السياقات التاريخية والثقافية، ويتأثر بطرائق التأويل المختلفة للنصوص الدينية والتقاليد الاجتماعية، وفي كثير من الحالات، يتم دمج القيم الدينية مع الأعراف الاجتماعية، مما يؤدي إلى إنتاج تصورات مركبة عن الأنوثة تجمع بين البعد الأخلاقي والبعد الاجتماعي.

---

1. Herbert I. Schiller, Culture, The Corporate Takeover of Public Expression, p. 39.
2. Roland Barthes, Mythologies, p. 109.
3. Mary Douglas, Purity and Danger: An Analysis of Concepts of Pollution and Taboo, p. 36.

ومن جهة أخرى، يظهر الخطاب الثقافي الفني والأدبي بوصفه فضاءً رمزيًا يعيد إنتاج الأنوثة عبر أشكال متعددة من التمثيل، فالأدب والفن والسينما لا تعكس الواقع فقط، إنما تساهم في خلقه من خلال تقديم نماذج وصور متكررة للمرأة، تتراوح بين التمثيل الرومانسي والرمزي أو التمثيل الواقعي النقدي، وقد أشار رولان بارت إلى أن الثقافة الحديثة تعمل عبر «الأساطير اليومية» التي تُنتج معاني تبدو طبيعية لكنها في الواقع مشبعة بالدلالات الإيديولوجية، وهو ما ينطبق على التمثلات الثقافية للأنوثة. كما تؤكد دراسات الخطاب المعاصر أن اللغة تلعب دورًا مركزيًا في تشكيل التصورات الجندرية، إذ لا يمكن فصل الأنوثة عن البنى اللغوية التي تُنتجها. فاللغة لا تعكس الواقع فقط، إنما تساعد في بنائه من خلال التكرار والتصنيف والتسمية، مما يجعلها أداة أساسية في تشكيل الوعي الاجتماعي بالأنوثة. ومن خلال هذا المنظور، يصبح الخطاب الاجتماعي بكل أشكاله وسيلة لإنتاج المعنى وتحديد موقع المرأة داخل النسق الاجتماعي[1].

يتبين من خلال ذلك أن الأنوثة تُبنى داخل إطار ثقافي واجتماعي معقد، حيث تلعب الثقافة والخطابات المختلفة دورًا محوريًا في تشكيل معانيها وتحديد أدوارها، كما يظهر أن المؤسسات الاجتماعية لا تنقل التصورات حول الأنوثة بشكل محايد، إنما تساهم في إنتاجها وإعادة إنتاجها بما يتناسب مع البنى القيمية السائدة، وبذلك فإن الأنوثة ليست مجرد معطى طبيعي، إنما هي بناء اجتماعي ثقافي متغير يتأثر بالسياقات التاريخية والتحولات الفكرية، وهو ما يمهد للانتقال إلى الفصل الثالث الذي يتناول المقاربة النقدية المعاصرة لهذا المفهوم.

## المبحث الثالث: مقاربة نقدية معاصرة للأنوثة بين الفطرة والثقافة

يشكّل هذا المبحث مرحلة تركيبية متقدمة في مسار الدراسة، إذ ينتقل من التحليل الوصفي والتفسيري لمفهوم الأنوثة في مستوياته البيولوجية والثقافية والخطابية، إلى محاولة بناء مقاربة نقدية معاصرة تعيد التفكير في هذا المفهوم خارج الثنائيات التقليدية التي حكمت جزءًا كبيراً من الدراسات الإنسانية، فالإشكال الجوهري الذي يطرحه هذا المبحث يتمثل في إمكانية فهم الأنوثة بوصفها ظاهرة إنسانية مركبة لا يمكن ردّها إلى الطبيعة وحدها ولا إلى الثقافة وحدها، إنما تتشكل من خلال تفاعل ديناميكي بين الجسد والمعنى، وبين البنية البيولوجية والأنساق الاجتماعية والتاريخية.

1. Sherry Ortner, Making Gender: The Politics and Erotics of Culture, p. 112.

### أولاً: نقد التصورات التقليدية للأنوثة

يمثّل نقد التصورات التقليدية للأنوثة أحد أهم التحولات الفكرية في الدراسات الإنسانية المعاصرة، إذ لم يعد من الممكن التعامل مع الأنوثة بوصفها معطى ثابتًا أو جوهرًا طبيعيًا يُحدَّد مسبقًا خارج التاريخ والثقافة، إنما أصبحت مفهومًا إشكاليًا يتشكل داخل شبكة معقدة من الخطابات العلمية والمعرفية والاجتماعية.

وقد ارتبطت التصورات التقليدية في أغلبها بنموذج جوهري يفترض وجود طبيعة أنثوية مستقرة، تُختزل في صفات نفسية وسلوكية يُعتقد أنها ملازمة للمرأة عبر الزمن والمجتمعات، مثل العاطفية المفرطة، والرعاية، والهدوء، والانسحاب النسبي من المجال العام، إلا أن هذا التصور تعرض لتفكيك نقدي واسع مع تطور الدراسات التاريخية والنقد الثقافي ودراسات الجندر، التي كشفت أن هذه الصفات ليست طبيعية بالمعنى الصارم، إنما هي نتاج عمليات اجتماعية ومعرفية طويلة الأمد. يُعد التحليل التاريخي للمعرفة أحد أهم الأدوات التي ساهمت في زعزعة فكرة «الطبيعة الجندرية الثابتة» حيث يبيّن توماس لاكور أن فهم الجسد الجنسي نفسه لم يكن ثابتًا عبر التاريخ، إنما خضع لتحولات جذرية في أنظمة المعرفة الغربية.

فبدلاً من النموذج الثنائي الصارم الذي يفصل بين الذكر والأنثى بوصفهما حقيقتين طبيعيتين مستقلتين، كانت هناك فترات تاريخية ساد فيها تصور يُفهم فيه الجسد ضمن تدرج واحد للاختلاف، حيث تُقرأ الفروق بين الجنسين كاختلافات في الدرجة لا في النوع، هذا التحول التاريخي في تصور الجسد يُظهر أن ما يُعتبر اليوم «اختلافًا طبيعيًا» بين الجنسين هو في جزء كبير منه بناء معرفي حديث، تشكّل ضمن سياقات علمية وثقافية محددة.[1]

ويترتب على ذلك أن مفهوم الأنوثة ذاته ليس مفهومًا بيولوجيًا صرفًا، إنما هو نتاج تاريخ طويل من إعادة تنظيم المعرفة حول الجسد والهوية. فالتصنيفات التي تبدو بديهية في العصر الحديث، مثل الفصل الحاد بين الذكورة والأنوثة، ليست حقائق طبيعية مباشرة، إنما هي نتائج تطور في أنماط التفكير العلمي والاجتماعي، حيث تم ربط الجسد بمعانٍ اجتماعية محددة، وهذا ما يفتح المجال أمام إعادة التفكير في الأنوثة باعتبارها مفهومًا تاريخيًا متغيراً لا ثابتًا، وفي الاتجاه نفسه، تقدم إليزابيث غروس نقدًا فلسفيًا عميقًا لفكرة الجسد بوصفه بنية طبيعية مغلقة، حيث ترى أن الجسد ليس معطى خامًا سابقًا على الثقافة، إنما هو مجال إنتاج للمعنى والتجربة، فالجسد الأنثوي، وفق

1. Sara Ahmed, The Cultural Politics of Emotion, p. 20.

هذا التصور، لا يحمل دلالته الاجتماعية من ذاته، إنما يتم تشكيل هذه الدلالة عبر الخطابات العلمية، والمؤسسات الاجتماعية، والممارسات اليومية التي تعيد إنتاج فهم معين له، وبالتالي فإن الأنوثة ليست خاصية داخلية، بل هي نتيجة لعمليات مستمرة من التشكيل الثقافي والمعرفي.[1]

ويكتسب هذا النقد أهمية إضافية حين يُنظر إليه في ضوء التحليل الثقافي للخطاب، إذ إن كثيراً من التصورات التقليدية حول الأنوثة لا تستند فقط إلى ملاحظات بيولوجية، إنما إلى أنظمة من المعنى يتم إنتاجها اجتماعيًا وتثبيتها عبر التكرار، فحين يتم ربط المرأة بالضعف أو العاطفة أو الخصوصية المنزلية، فإن هذا الربط لا يعكس واقعًا بيولوجيًا محضًا، إنما يعكس منظومة ثقافية تُعيد تعريف الجندر داخل سياق اجتماعي محدد.

ومن ثم فإن «الطبيعي» في هذا السياق هو في الواقع «المُنتَج ثقافيًا» ومن زاوية نقدية أوسع، يمكن القول إن التصورات التقليدية للأنوثة تعتمد على نوع من «التطبيع الثقافي» أي تحويل البناء الاجتماعي إلى حقيقة طبيعية غير قابلة للنقاش.

وهذا التطبيع يؤدي إلى إخفاء الطابع التاريخي والسياسي للمعاني المرتبطة بالأنوثة، بحيث تبدو وكأنها ناتجة عن الطبيعة نفسها لا عن عمليات اجتماعية معقدة، وهنا تكمن أهمية النقد المعاصر الذي يسعى إلى كشف هذه الآليات وإعادة إدراج الأنوثة ضمن سياقها التاريخي والمعرفي، كما أن النقد المعاصر لا يهدف إلى إنكار وجود اختلافات بيولوجية بين الجنسين، إنما إلى رفض تحويل هذه الاختلافات إلى تفسير شامل ونهائي للسلوك الاجتماعي أو الهوية الجندرية، فالمشكلة ليست في الاعتراف بالبيولوجيا، إنما في استخدامها كإطار تفسيري مغلق يُقصي العوامل الأخرى ويختزل التجربة الإنسانية في بعدها الجسدي فقط، ومن هذا المنظور، يصبح النقد موجهًا ضد الحتمية لا ضد البيولوجيا ذاتها[2].

وبذلك ترى الباحثة إن التصورات التقليدية للأنوثة تنهار أمام ثلاثة مستويات من النقد: أولها النقد التاريخي الذي يكشف تغير المفاهيم عبر الزمن، وثانيها النقد الفلسفي الذي يعيد تعريف الجسد بوصفه مجالاً للمعنى لا مجرد مادة طبيعية، وثالثها النقد الثقافي الذي يوضح أن المعاني الجندرية تُنتج داخل الخطابات الاجتماعية لا خارجها. وعند تداخل هذه المستويات، يتضح أن الأنوثة ليست حقيقة ثابتة، بل بناء معرفي-ثقافي متحول.

---

1. Thomas Laqueur, Making Sex: Body and Gender from the Greeks to Freud, p 24.
2. Elizabeth Grosz, Volatile Bodies: Toward a Corporeal Feminism, p.19.

### ثانيًا: الأنوثة بوصفها هوية ديناميكية وإمكانًا إنسانيًا مفتوحًا

تتجه المقاربات النقدية المعاصرة في دراسات الجندر إلى إعادة تعريف الأنوثة بوصفها هوية ديناميكية غير مكتملة، تتشكل داخل الزمن الاجتماعي ولا تُختزل في بنية ثابتة أو جوهر طبيعي مسبق.

فبدلاً من البحث عن «ماهية» الأنوثة باعتبارها حقيقة نهائية، يتم التركيز على آليات تشكّلها داخل الممارسة اليومية، وعلى الشروط الخطابية والمؤسسية التي تسمح بإنتاجها وإعادة إنتاجها باستمرار، هذا التحول المعرفي يمثل انتقالاً من التفكير في الهوية بوصفها «شيئًا يُمتلك»، إلى التفكير فيها بوصفها «عملية تُمارس وتُنتج»، وهو ما يفتح المجال لفهم أكثر مرونة وتعددية للتجربة الأنثوية. في هذا السياق، تقدم رأي وينسكي إسهامًا نقديًا مهمًا من خلال تحليلها للعلاقة بين المعرفة العلمية وبناء مفاهيم الجسد والجندر، حيث تؤكد أن ما يُعتبر «معرفة موضوعية» حول الجنس والأنوثة يتشكل داخل سياقات اجتماعية وثقافية لا يمكن فصلها عن علاقات القوة، ومن ثم فإن الهوية الأنثوية لا تُفهم خارج هذه البنية المعرفية التي تنتج تعريفاتها وتعيد ترسيم حدودها باستمرار[1].

كما يقدّم بول ريكور تصورًا فلسفيًا مهمًا حول الهوية بوصفها «سردًا»، حيث يرى أن الذات الإنسانية لا تُفهم كجوهر ثابت، إنما كقصة تُروى وتُعاد صياغتها عبر الزمن، ووفق هذا التصور، يمكن فهم الأنوثة بوصفها هوية سردية تتشكل من خلال التفاعل بين الذاكرة الفردية والسرديات الاجتماعية والثقافية، مما يجعلها قابلة للتغير وإعادة التأويل باستمرار[2].

وفي الاتجاه نفسه، يبرز إرنستو لاكلو الذي يؤكد أن الهويات الاجتماعية عمومًا، بما فيها الهوية الجندرية، هي هويات «مفتوحة» تُبنى عبر عمليات خطابية تقوم على التفاوض والصراع الرمزي داخل المجتمع، فالمعنى الاجتماعي للأنوثة ليس معطى ثابتًا، إنما هو نتيجة لتقاطع خطابات متعددة تتنافس على تعريفه وتحديد حدوده[3].

كما تسهم شانتال موف في هذا الإطار من خلال تأكيدها على الطابع السياسي للهوية، حيث

---

1. Sandra Harding, Whose Science? Whose knowledge? Thinking from Women's Lives, p.25.
2. Paul RI Coeur, Oneself as Another, p.113.
3. Ernesto Laclau, On Populist Reason, p. 68.

ترى أن الاختلافات الاجتماعية، بما فيها الجندرية، لا يمكن تجاوزها أو تثبيتها ضمن تعريف واحد، إنما يجب فهمها ضمن فضاء ديمقراطي تعددي يعترف بتعدد الهويات وتناقضها، وهذا يعني أن الأنوثة ليست هوية مغلقة، بل موقعًا سياسيًا واجتماعيًا مفتوحًا لإعادة التفاوض المستمر.

ومن جهة أخرى، يقدّم علم الاجتماع التفاعلي مساهمة مهمة في فهم الأنوثة بوصفها نتاجًا للتفاعل اليومي، حيث تُبنى الهوية من خلال الممارسات الصغيرة والمتكررة في الحياة الاجتماعية، فالأفراد لا يُعبّرون عن هويتهم الجندرية بطريقة جاهزة، بل يقومون بإنتاجها باستمرار عبر التفاعل مع الآخرين، وفق توقعات اجتماعية متغيرة، وهذا يجعل الأنوثة عملية «إنجاز اجتماعي» وليست حالة ثابتة[1].

كما أن المقاربات النقدية للحداثة تشير إلى أن الهوية في المجتمعات المعاصرة أصبحت أكثر سيولة وتعددًا، نتيجة التحولات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية التي أعادت تشكيل العلاقات الاجتماعية، وفي هذا السياق، لم تعد الأنوثة مرتبطة بنموذج واحد، إنما أصبحت تتخذ أشكالاً متعددة تتغير بتغير السياقات الطبقية والثقافية والسياسية، مما يعكس تراجع النماذج المعيارية الصارمة لصالح أنماط أكثر تنوعًا، ويترتب على ذلك أن الأنوثة في الفكر النقدي المعاصر تُفهم بوصفها إمكانًا إنسانيًا مفتوحًا، وليس بنية مغلقة، فهي لا تُختزل في تعريف واحد، إنما تتشكل عبر تفاعل مستمر بين الذات والمجتمع، وبين الخطاب والممارسة، وبين التاريخ والحاضر، وهذا الفهم يسمح بإعادة التفكير في الهوية الجندرية بعيدًا عن التحديدات المسبقة، ويفتح المجال أمام الاعتراف بتعدد أشكال التجربة الأنثوية واختلافها[2].

يتبين من خلال هذا الفصل أن المقاربات النقدية المعاصرة تسعى إلى تجاوز الثنائية التقليدية التي تفصل بين الفطرة والثقافة في تفسير الأنوثة، نحو رؤية أكثر تركيبًا تعترف بتداخل المستويين في تشكيل الهوية الأنثوية، كما يظهر أن الأنوثة ليست مفهومًا ثابتًا أو معطى نهائيًا، إنما هي عملية ديناميكية تتشكل عبر التفاعل المستمر بين الجسد والمعنى، وبين الفرد والبنية الاجتماعية، وبين التاريخ والثقافة، وبذلك فأن فهم الأنوثة يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد تستوعب تعقيدها، وتبتعد عن التفسيرات الاختزالية التي تحصرها في جانب واحد فقط.

---

1. Chantal Mouffe, The Democratic Paradox, p. 101.
2. George Herbert Mead, Mind, Self, and Society, p. 135.

## خاتمة الدراسة

في ضوء ما تم تناوله في هذه الدراسة يتضح أن مفهوم الأنوثة ليس مفهومًا بسيطًا أو أحادي البنية، إنما هو مفهوم مركّب تتداخل فيه مستويات متعددة من التفسير، تبدأ من البعد البيولوجي ولا تنتهي عند حدود الثقافة والخطاب الاجتماعي. وقد بيّنت الدراسة أن محاولات اختزال الأنوثة في أحد هذين البعدين تؤدي إلى فهم ناقص ومجتزأ، سواء تم ذلك عبر الحتمية البيولوجية أو عبر التفسيرات الثقافية الصرفة. وقد أظهرت نتائج التحليل أن الأنوثة تتشكل عبر مسار تاريخي واجتماعي طويل، تُساهم فيه مؤسسات التنشئة المختلفة في إنتاج تصورات ومعايير تحدد ما يُعد «أنوثة» وما لا يُعد كذلك، مما يجعل هذا المفهوم متغيراً تبعًا للسياقات الثقافية والتحولات الاجتماعية، كما تبين أن الخطابات التربوية والإعلامية والدينية تلعب دورًا محوريًا في إعادة إنتاج الصور النمطية أو إعادة صياغتها، بما يعكس طبيعة العلاقة بين المعرفة والسلطة في تشكيل الوعي الجندري، ومن جهة أخرى، خلصت الدراسة إلى أن المقاربات النقدية المعاصرة قد أسهمت في إعادة فتح النقاش حول الهوية الأنثوية بوصفها هوية ديناميكية غير مكتملة، تتشكل باستمرار من خلال التفاعل بين الجسد والمعنى، وبين الفرد والمجتمع، وهذا الفهم يتيح تجاوز التصورات التقليدية التي حصرت الأنوثة في أطر جاهزة ومحددة سلفًا، ويفتح المجال أمام رؤية أكثر مرونة وتعددية للهوية الإنسانية، كما أكدت الدراسة أن العلاقة بين الفطرة والثقافة ليست علاقة فصل أو تعارض، إنما علاقة تفاعل وتكامل، حيث لا يمكن إغفال الأساس البيولوجي للإنسان، وفي الوقت نفسه لا يمكن اعتباره المحدد الوحيد للهوية والسلوك، ومن ثم فإن الفهم الأكثر دقة للأنوثة هو ذلك الذي يأخذ بعين الاعتبار هذا التعقيد البنيوي ويبتعد عن التبسيط والإطلاق. وفي الختام، يمكن القول إن دراسة الأنوثة في بعدها الفطري والثقافي تظل مجالاً مفتوحًا للبحث والتطوير، نظرًا لتعدد زوايا النظر إليه وتغير السياقات التي يتشكل فيها، وهو ما يجعل الحاجة إلى مزيد من الدراسات النقدية والمقارنات الثقافية أمرًا ضروريًا لفهم أعمق لهذه الظاهرة الإنسانية المركبة.

## النتائج والتوصيات

### أولاً: النتائج

١. توصلت الدراسة إلى أن الأنوثة مفهوم متعدد الأبعاد لا يمكن اختزاله في التفسير البيولوجي أو الثقافي وحده، إنما يتشكل من خلال تفاعل مستمر بين المعطيات الفطرية والبنى الاجتماعية والثقافية.

٢. أظهرت الدراسة أن التصورات التقليدية للأنوثة قامت في جانب كبير منها على افتراض وجود جوهر أنثوي ثابت، إلا أن الدراسات المعاصرة كشفت الطابع التاريخي والاجتماعي لهذه التصورات وأثبتت قابليتها للتغير.

٣. كشفت الدراسة أن الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية الأخرى تمثل أدوات رئيسة في بناء الهوية الأنثوية وإعادة إنتاج التصورات المرتبطة بها.

٤. أوضحت الدراسة أن الخطابات التربوية والإعلامية والدينية والثقافية تسهم بدرجات متفاوتة في ترسيخ الصور النمطية للمرأة أو إعادة تشكيلها وفقًا للتحولات الاجتماعية والفكرية.

٥. أثبتت الدراسة أن المقاربات النقدية المعاصرة أسهمت في تجاوز الرؤية الجوهرانية للأنوثة من خلال التركيز على الهوية بوصفها عملية اجتماعية وثقافية متحركة.

٦. بينت الدراسة أن الحتمية البيولوجية لا توفر تفسيراً كافيًا للأنوثة، لأنها تتجاهل أثر البيئة الاجتماعية والثقافية في تشكيل الهوية والسلوك.

٧. أظهرت الدراسة أن فهم الأنوثة يقتضي اعتماد مقاربة تكاملية تراعي التفاعل بين الطبيعة الإنسانية والمعطيات الثقافية والتاريخية.

٨. خلصت الدراسة إلى أن الأنوثة تمثل بناءً إنسانيًا ديناميكيًا يتأثر بالتحولات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي يجعلها مفهومًا متجددًا وقابلاً لإعادة التفسير باستمرار.

### ثانيًا: التوصيات

١. تشجيع الدراسات البينية التي تجمع بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة وعلم النفس والدراسات الثقافية من أجل تقديم فهم أكثر شمولاً لمفهوم الأنوثة.

٢. تطوير المناهج التعليمية بما يسهم في تعزيز الوعي النقدي تجاه الصور النمطية المرتبطة بالمرأة والأدوار الجندرية التقليدية.

٣. دعم البحوث العربية المعاصرة التي تتناول قضايا الجندر والهوية من منظور علمي رصين يراعي الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية.

٤. تعزيز دور المؤسسات الأكاديمية في دراسة التحولات التي يشهدها مفهوم الأنوثة في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية المعاصرة.

٥. تشجيع وسائل الإعلام على تقديم صورة أكثر توازنًا وتنوعًا للمرأة بعيدًا عن الأنماط الاختزالية أو القوالب الجاهزة.

٦. ضرورة تبني رؤية معرفية متوازنة تتجاوز ثنائية الفطرة والثقافة، وتنظر إلى الأنوثة بوصفها نتاجًا لتفاعل مستمر بين الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية والثقافية.

٧. تشجيع الباحثين على دراسة الأنوثة في السياق العربي والإسلامي من خلال مقاربات علمية حديثة تجمع بين الأصالة المعرفية والانفتاح على الاتجاهات النقدية المعاصرة.

٨. فتح آفاق بحثية جديدة لدراسة العلاقة بين الأنوثة والتحولات الاقتصادية والتقنية والثقافية التي يشهدها العالم المعاصر، لما لها من أثر مباشر في إعادة تشكيل مفهوم الهوية الجندرية.

## قائمة المصادر والمراجع


١. إبراهيم، عبد الله، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.

٣. بوحديبة، عبد الوهاب، المرأة في الإسلام، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

٤. بورديو، بيير، الهيمنة الذكورية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٥. الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٩.

٦. دي بوفوار، سيمون، الجنس الآخر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨.

٧. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة، ١٨٦٨.

٨. السعداوي، نوال، الوجه العاري للمرأة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٧.

٩. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.


## المراجع الأجنبية


10. Ahmed, Sara, The Cultural Politics of Emotion, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2004.

11. Apple, Michael W., Official Knowledge: Democratic Education in a Conservative Age, Routledge, New York, 2000.

12. Barthes, Roland, Mythologies, Éditions du Seuil, Paris, 1957.

13. Benedict, Ruth, Patterns of Culture, Houghton Mifflin, Boston, 1934.

14. Chafetz, Janet Saltzman, Gender Equity: An Integrated Theory of Stability and Change, Sage Publications, Newbury Park, 1990.

15. Douglas, Mary, Purity and Danger: An Analysis of Concepts of Pollution and Taboo, Routledge, London, 1966.

16. Fraser, Nancy, Justice Interruptus: Critical Reflections on the «Post socialist» Condition, Routledge, New York, 1997.

17. Gauntlett, David, Media, Gender and Identity, Routledge, London, 2008.

18. Goffman, Erving, The Presentation of Self in Everyday Life, Anchor Books, New York, 1959.

19. Grosz, Elizabeth, Volatile Bodies: Toward a Corporeal Feminism, Indiana University Press, Bloomington, 1994.

20. Harding, Sandra, Whose Science? Whose knowledge? Thinking from Women's Lives, Cornell University Press, Ithaca, 1991.

21. Illouz, Eva, Cold Intimacies: The Making of Emotional Capitalism, Polity Press, Cambridge, 2007.

22. Laclau, Ernesto, On Populist Reason, Verso, London, 2005.

23. Laqueur, Thomas, Making Sex: Body and Gender from the Greeks to Freud, Harvard University Press, Cambridge, MA, 1990.

24. Mead, George Herbert, Mind, Self, and Society, University of Chicago Press, Chicago, 1934.

25. Mead, Margaret, Sex and Temperament in Three Primitive Societies, William Morrow & Company, New York, 1935.

26. Mouffe, Chantal, The Democratic Paradox, Verso, London, 2000.

27. Ortner, Sherry, Making Gender: The Politics and Erotics of Culture, Beacon Press, Boston, 1996.

28. RI Coeur, Paul, Oneself as Another, University of Chicago Press, Chicago, 1992.

29. Sahlins, Marshall, Culture and Practical Reason, University of Chicago Press, Chicago, 1976.

30. Schiller, Herbert I., Culture, Inc.: The Corporate Takeover of Public Expression, Oxford University Press, New York, 1989.